مكة حرسها الله تعالى/١٤٤٤هـ

سلسلة الرسائل (٢٨)

البركة

مِنَ اللهِ وَالحِرصُ عَلَى التِمَاسِهَا

لِلشَّيخَةِ أُمِّ عَبدِاللهِ بِنتِ الشَّيخِ

مُقبِلِ بنِ هَادِي الوَادِعِيِّ

حَفِظَهَا اللهُ تَعَالَى

alwadei967.blogspot.com telegram.me/alwad3ya

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

أما بعد:

فمرحبًا بأخواتي الفاضلات، مرحبًا بكن وأهلًا وسهلًا.

أخواتي في الله، يجب أن نعلم انَّ مِنْ عقيدَتِنَا أن البركة من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، روى البخاري (٣٥٧٩) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بن مسعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كُنَّا نَعُدُّ الآيَاتِ بَرَكَةً، وَأَنْتُمْ تَعُدُّونَهَا تَخْوِيفًا، كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سَفَرٍ، فَقَلَّ المَاءُ، فَقَالَ: «اطْلُبُوا فَضْلَةً مِنْ مَاءٍ» فَجَاءُوا بِإِنَاءٍ فِيهِ مَاءٌ قَلِيلٌ فَأَدْخَلَ يَدَهُ فِي الإِنَاءِ، ثُمَّ قَالَ: «حَيَّ عَلَى الطَّهُورِ المُبَارَكِ، وَالبَرَكَةُ مِنَ اللَّهِ» فَلَقَدْ رَأَيْتُ المَاءَ يَنْبُعُ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَقَدْ كُنَّا نَسْمَعُ تَسْبِيحَ الطَّعَامِ وَهُوَ يُؤْكَلُ.

«فَضْلَةً» الفضلة: البقية.

«فَلَقَدْ رَأَيْتُ المَاءَ يَنْبُعُ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ» هذه معجزة للنّبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فهذا الماء القليل صار كثيرًا، وصار الماء ينبع من بين أصابع النّبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ كالعَين، هذه بركة من الله عَزَّوَجَلَّ.

«وَلَقَدْ كُنَّا نَسْمَعُ تَسْبِيحَ الطَّعَامِ وَهُوَ يُؤْكَلُ» هذا أيضًا من معجزات النّبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، ومعجزات رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ لها شأن عظيم، وكم تؤثِّر في قلوب الصالحين ويزدادون بها إيمانًا! بل تؤثِّر في قلوب الكفار، فنشر دلائل النبوة دعوة إلى الإسلام.

هذا الحديث يقول فيه النّبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «حَيَّ عَلَى الطَّهُورِ المُبَارَكِ، وَالبَرَكَةُ مِنَ اللَّهِ» وهذا يفيد تعليق القلوب بالله عَزَّوَجَلَّ، وفيه غرس العقيدة الصحيحة في قلوب الناس، وأن الإنسان يطلب البركة من الله لا مِنْ غيره.

والبركة ثبوت الخير الإلهي في شيء.

أخواتي في الله، ينبغي أن تكون المرأة المسلمة حريصة على أن تكون مبارَكة، بركة على نفسها وحياتها، وأن تكون بركة على غيرها، بركة على أولادها، على زوجها تعينه على الخير، بركة على جليساتها، بركة على أسرتها ومَنْ حولها.

فينبغي أن تكون المرأة المسلمة مباركة، وانظري إلى أم المؤمنين عائشة كيف كانت بركاتها!

روى البخاري (٣٣٤)، ومسلم (٣٦٧)عَنْ عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَتْ: خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ، حَتَّى إِذَا كُنَّا بِالْبَيْدَاءِ أَوْ بِذَاتِ الجَيْشِ انْقَطَعَ عِقْدٌ لِي، فَأَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى التِمَاسِهِ، وَأَقَامَ النَّاسُ مَعَهُ وَلَيْسُوا عَلَى مَاءٍ، فَأَتَى النَّاسُ إِلَى أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ، فَقَالُوا: أَلاَ تَرَى مَا صَنَعَتْ عَائِشَةُ؟ أَقَامَتْ بِرَسُولِ اللَّهِ

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالنَّاسِ وَلَيْسُوا عَلَى مَاءٍ، وَلَيْسَ مَعَهُمْ مَاءٌ، فَجَاءَ أَبُو بَكْرٍ وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَاضِعٌ رَأْسَهُ عَلَى فَخِذِي قَدْ نَامَ، فَقَالَ: حَبَسْتِ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالنَّاسَ، وَلَيْسُوا عَلَى مَاءٍ، وَلَيْسَ مَعَهُمْ مَاءٌ، فَقَالَتْ عَائِشَةُ: فَعَاتَبَنِي أَبُو بَكْرٍ، وَقَالَ: مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَقُولَ وَجَعَلَ يَطْعُنُنِي بِيَدِهِ فِي خَاصِرَتِي، فَلا يَمْنَعُنِي مِنَ التَّحَرُّكِ إِلَّا مَكَانُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى فَخِذِي، «فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ أَصْبَحَ عَلَى غَيْرِ مَاءٍ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ آيَةَ التَّيَمُّمِ فَتَيَمَّمُوا».

فَقَالَ أُسَيْدُ بْنُ الْحُضَيْرِ: مَا هِيَ بِأَوَّلِ بَرَكَتِكُمْ يَا آلَ أَبِي بَكْرٍ، قَالَتْ: فَبَعَثْنَا الْبَعِيرَ الَّذِي كُنْتُ عَلَيْهِ، فَأَصَبْنَا الْعِقْدَ تَحْتَهُ.

وفي قول أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ» هذا يفيد سفر المرأة مع محرمها، وقد كان النسوة يخرجن للغزو ومع محارمهن، فيداوين الجرحى، ويسقين المرضى.

وهذا إذا كان المؤمنون عندهم قوة، وفيهم كثرة يأمنون على النساء، فلا يشكل كيف تخرج المرأة في الغزو، والغزو فَرٌّ وكَرٌّ كما يقال، والحرب سجال، فهذا في حال المأمن من العدو(١).

تقول عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «حَتَّى إِذَا كُنَّا بِالْبَيْدَاءِ أَوْ بِذَاتِ الْجَيْشِ انْقَطَعَ عِقْدٌ لِي» العقد: القلادة وهو ما يعلَّق في الرقبة.

---

(١) قال ابن عبد البر في «التمهيد»(١٩/٢٦٦): فِيهِ مِنَ الْفِقْهِ خُرُوجُ النِّسَاءِ مَعَ الرِّجَالِ فِي الْأَسْفَارِ، وَخُرُوجُهُنَّ مَعَ الرِّجَالِ فِي الْغَزَوَاتِ وَغَيْرِ الْغَزَوَاتِ مُبَاحٌ، إِذَا كَانَ الْعَسْكَرُ كَبِيرًا يُؤْمَنُ عَلَيْهِ الْغَلَبَةُ.

«فَأَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى التِّمَاسِهِ» وهذا نستفيد منه: الحِفاظ على المال، عِقْد متواضع ويقيم النّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ والناسُ على التماسه.

فهذا يفيد المحافظة على المال من الضياع، فالله سائلنا عنه، روى الترمذي (٢٤١٧) عَنْ أَبِي بَرْزَةَ الأَسْلَمِيِّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ القِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمُرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ، وَعَنْ عِلْمِهِ فِيمَ فَعَلَ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ، وَعَنْ جِسْمِهِ فِيمَ أَبْلَاهُ».

وأهل البلاد المترفة كم يقعون في ضياع الأموال وفي الإسراف، والله عَزَّوَجَلَّ يقول: ﴿وَلَا تُسْرِفُوٓاْ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٤١﴾﴾ [الأنعام: ١٤١].

وقول عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «فَجَاءَ أَبُو بَكْرٍ وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَاضِعٌ رَأْسَهُ عَلَى فَخِذِي قَدْ نَامَ، فَقَالَ: حَبَسْتِ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالنَّاسَ، وَلَيْسُوا عَلَى مَاءٍ، وَلَيْسَ مَعَهُمْ مَاءٌ، فَقَالَتْ عَائِشَةُ: فَعَاتَبَنِي أَبُو بَكْرٍ، وَقَالَ: مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَقُولَ، وَجَعَلَ يَطْعُنُنِي بِيَدِهِ فِي خَاصِرَتِي، فَلا يَمْنَعُنِي مِنَ التَّحَرُّكِ إِلَّا مَكَانُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى فَخِذِي».

الخاصرة: ما بين الأضلاع والورك.

«فَلاَ يَمْنَعُنِي مِنَ التَّحَرُّكِ إِلَّا مَكَانُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى فَخِذِي» وهذا من أدبها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنها لا تتحرك؛ حتى لا توقظ النّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وتشوش عليه.

كما نستفيد منه: شكوى المرأة إلى أبيها وإن كانت متزوجة.

ونستفيد: تأديب الأب ابنته وإن كانت متزوجة بالعتاب أو الضرب للحاجة.

وصلاة الناس من غير طهارة ووضوء؛ لأنه لم يكن شُرع التيمم، ثم أنزل الله تَعَالَى آية التيمم، وهي آية المائدة ﴿ فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ ﴾[المائدة: ٦]. جاء الفرج من الله سُبحَانَهُ وشُرع التيمم.

فنستفيد أن فاقد الطهورين يصلي على حاله، الذي لا يجد الماء أو التراب يصلي فلا يقال: سقطت الصلاة.

«مَا هِيَ بِأَوَّلِ بَرَكَتِكُمْ يَا آلَ أَبِي بَكْرٍ» أثبت البركة لآل أبي بكر، وهذا يفيد أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قد يضع البركة لبعض خلقه، حيث يشاء سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ويفيد أن آل أبي بكر لهم سوابق في البركات «مَا هِيَ بِأَوَّلِ بَرَكَتِكُمْ يَا آلَ أَبِي بَكْرٍ».

ويذكر الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تعليقاته على «فتح الباري»: أنه لا بأس بأن يقال: هذه بركة فلان، إذا وُجدت بركة بسبب عالم أو فاضل.

وجُوَيْرِيَةُ بِنْتُ الْحَارِثِ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا كانت بركة على قومها، روى الإمام أحمد (٤٣/ ٣٨٤) عن عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ قَالَتْ: لَمَّا قَسَمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَبَايَا بَنِي الْمُصْطَلِقِ وَقَعَتْ جُوَيْرِيَةُ بِنْتُ الْحَارِثِ فِي السَّهْمِ لِثَابِتِ بْنِ قَيْسِ بْنِ الشَّمَّاسِ-أَوْ لِابْنِ عَمٍّ لَهُ-وَكَاتَبَتْهُ عَلَى نَفْسِهَا، وَكَانَتْ امْرَأَةً حُلْوَةً مُلَاحَةً لَا يَرَاهَا أَحَدٌ إِلَّا أَخَذَتْ بِنَفْسِهِ، فَأَتَتْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَسْتَعِينُهُ فِي كِتَابَتِهَا، قَالَتْ: فَوَاللَّهِ مَا هُوَ إِلَّا أَنْ رَأَيْتُهَا عَلَى بَابِ حُجْرَتِي فَكَرِهْتُهَا، وَعَرَفْتُ أَنَّهُ سَيَرَى مِنْهَا مَا رَأَيْتُ، فَدَخَلَتْ عَلَيْهِ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنَا جُوَيْرِيَةُ بِنْتُ الْحَارِثِ بْنِ أَبِي ضِرَارٍ سَيِّدِ قَوْمِهِ، وَقَدْ أَصَابَنِي مِنَ الْبَلَاءِ مَا لَمْ يَخْفَ عَلَيْكَ،

فَوَقَعْتُ فِي السَّهْمِ لِثَابِتِ بْنِ قَيْسِ بْنِ الشَّمَّاسِ-أَوْ لِابْنِ عَمٍّ لَهُ-فَكَاتَبْتُهُ عَلَى نَفْسِي، فَجِئْتُكَ أَسْتَعِينُكَ عَلَى كِتَابَتِي. قَالَ: «فَهَلْ لَكِ فِي خَيْرٍ مِنْ ذَلِكَ؟». قَالَتْ: وَمَا هُوَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «أَقْضِي كِتَابَتَكِ وَأَتَزَوَّجُكِ» قَالَتْ: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: «قَدْ فَعَلْتُ». قَالَتْ: وَخَرَجَ الْخَبَرُ إِلَى النَّاسِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَزَوَّجَ جُوَيْرِيَةَ بِنْتَ الْحَارِثِ، فَقَالَ النَّاسُ: أَصْهَارُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَرْسَلُوا مَا بِأَيْدِيهِمْ، قَالَتْ: فَلَقَدْ أَعْتَقَ بِتَزْوِيجِهِ إِيَّاهَا مِائَةَ أَهْلِ بَيْتٍ مِنْ بَنِي الْمُصْطَلِقِ، فَمَا أَعْلَمُ امْرَأَةً كَانَتْ أَعْظَمَ بَرَكَةً عَلَى قَوْمِهَا مِنْهَا[٢].

«وَكَاتَبْتُهُ عَلَى نَفْسِهَا» أي: أرادت أن تخلص نفسها من الرِّقِّ، تدفع شيئًا من المال حتى تخلص نفسها من الرق.

«امْرَأَةً حُلْوَةً مُلَاحَةً لَا يَرَاهَا أَحَدٌ إِلَّا أَخَذَتْ بِنَفْسِهِ» أي: أنها جميلة.

«وَقَدْ أَصَابَنِي مِنَ الْبَلَاءِ مَا لَمْ يَخْفَ عَلَيْكَ» الرق بلاء وابتلاء.

«فَقَالَ النَّاسُ: أَصْهَارُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَرْسَلُوا مَا بِأَيْدِيهِمْ» أي: كيف نبقيهم أرقاء ومماليك وهم أصهار رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ؟ وهذا فيه تعظيم الأنصار النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، ما أحبوا أن يكون أصهاره أرقاء، فأطلقوهم من الأسْر، وقد كانوا مائة بيت.

فينبغي أن نحرص على أن نكون بركة، ولا نغفل عن هذه الصفة الجليلة.

---

(٢) والحديث في «الصحيح المسند» (١٦٢٠) لوالدي رَحِمَهُ اللَّهُ.

وأم سليم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا كانت بركة على ولدها أنس بن مالك؛ فقد ربَّته، حتى إنها جعلته خادمًا للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لينال بركتَهُ وبركة دعائه وصُحبتِهِ.

روى البخاري (١٩٨٢)، ومسلم (٢٤٨٠) عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، دَخَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عَلَى أُمِّ سُلَيْمٍ، فَأَتَتْهُ بِتَمْرٍ وَسَمْنٍ، قَالَ: «أَعِيدُوا سَمْنَكُمْ فِي سِقَائِهِ، وَتَمْرَكُمْ فِي وِعَائِهِ، فَإِنِّي صَائِمٌ» ثُمَّ قَامَ إِلَى نَاحِيَةٍ مِنَ البَيْتِ، فَصَلَّى غَيْرَ المَكْتُوبَةِ، فَدَعَا لِأُمِّ سُلَيْمٍ وَأَهْلِ بَيْتِهَا، فَقَالَتْ أُمُّ سُلَيْمٍ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ لِي خُوَيْصَّةً، قَالَ: «مَا هِيَ؟»، قَالَتْ: خَادِمُكَ أَنَسٌ، فَمَا تَرَكَ خَيْرَ آخِرَةٍ وَلا دُنْيَا إِلَّا دَعَا لِي بِهِ، قَالَ: «اللَّهُمَّ ارْزُقْهُ مَالًا وَوَلَدًا، وَبَارِكْ لَهُ فِيهِ»، فَإِنِّي لَمِنْ أَكْثَرِ الأَنْصَارِ مَالًا.

وقد استجاب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى هذه الدعوة المباركة، وكان أنس كثير المال والأولاد.

فلتتأسَ بهؤلاء النساء الفُضليَات، ولنكن مبارَكات، هاديات مهديات.

وإن هناك أسبابًا؛ لنيل البركة ينبغي أن نحرص عليها، مِن أهمِّها:

- الدعاء، فينبغي الدعاء بأن الله يجعلنا مباركين، وأن يرزقنا البركة.

ثبت عن الحَسَنِ بْنِ عَلِيّ بن أبي طالب، قال: عَلَّمَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَلِمَاتٍ أَقُولُهُنَّ فِي الوِتْرِ: «اللَّهُمَّ اهْدِنِي فِيمَنْ هَدَيْتَ، وَعَافِنِي فِيمَنْ عَافَيْتَ، وَتَوَلَّنِي فِيمَنْ تَوَلَّيْتَ، وَبَارِكْ لِي فِيمَا أَعْطَيْتَ، وَقِنِي شَرَّ مَا قَضَيْتَ، فَإِنَّكَ تَقْضِي وَلَا يُقْضَى عَلَيْكَ، وَإِنَّهُ لَا يَذِلُّ مَنْ وَالَيْتَ، تَبَارَكْتَ رَبَّنَا وَتَعَالَيْتَ»(٣).

(٣) رواه أبو داود(١٤٢٥)، والترمذي(٤٦٤)، وأحمد (١٧٢٧)، وهو في «الصحيح المسند» (٣٠٨) لوالدي رَحِمَهُ اللَّهُ.

وهذا من جوامع الأدعية، «وَبَارِكْ لِي فِيمَا أَعْطَيْتَ» فيما أعطيتني من العلم، والفهم، والذكاء، والولد، والزوج، والمال، والعافية إلى غير ذلك. اللّٰهم بارك لنا فيما أعطيتنا ورزقتنا.

وثبت عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ سَمِعْتُ دُعَاءَكَ اللَّيْلَةَ، فَكَانَ الَّذِي وَصَلَ إِلَيَّ مِنْهُ أَنَّكَ تَقُولُ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي، وَوَسِّعْ لِي فِي دَارِي، وَبَارِكْ لِي فِيمَا رَزَقْتَنِي» قَالَ: «فَهَلْ تَرَاهُنَّ تَرَكْنَ شَيْئًا» رواه الترمذي (٣٥٠٠).

يعني: جمعت هذه الكلمات الخير كله؛ لأنها اشتملت على مغفرة الذنوب، والدعاء بسعة الدار، والدعاء بالبركة في الرزق، والرزق عام غير منحصِر بالمال.

«وَوَسِّعْ لِي فِي دَارِي» أي: دار الدنيا والآخرة(٤).

وهذا يفيد أن توسعة الدار في الدنيا سعادة ﴿ وَٱلْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٧﴾ ﴾[الأعلى]، فمن السعادة السكن الواسع؛ يشرح الصدر، يريح البال، يستطيع أن ينفرد وقت عبادته، فيصلي بخشوع وتركيز، وعند الحفظ والبحث والمطالعة، وطلب العلم، والدروس تحتاج إلى هدوء ﴿ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِۦ ﴾ [الأحزاب: ٤].

---

(٤)قال المُناوي في «فيض القدير»(١/٢٠٩): مَحل سكني فِي الدُّنْيَا؛ لِأَن ضيق مرافق الدَّار يضيق الصَّدْر، ويجلب الْهم، ويشغل البال، ويغم الرُّوح، أَو المُرَاد الْقَبْر؛ فَإِنَّهُ الدَّار الْحَقِيقِيَّة.

وحملُهُ على الأمرين أولى؛ لعموم اللفظ. قال الصنعاني في «التنوير شرح الجامع الصغير»(٣/١٠٢): الدار تعم دار الدنيا والآخرة والبرزخ.

فلا تغفلي عن الدعاء أن الله يجعل لكِ البركة، وأن تكوني بركة في بيتك وعلى زوجك وأولادك وقريباتك وذويك، وهذا خير كبير.

❧ ومن أسباب البركة: الاستقامة، التمسك بهذا الدين، هذا من أعظم أسباب البركة، أن نكون مستقيمات كما أمرنا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ ﴾ [هود: ١١٢]. وقال تَعَالَىٰ: ﴿ فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ ۖ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ ﴾[الشورى: ١٥].

وروى مسلم (٣٨) عَنْ سُفْيَانَ بْنِ عَبْدِ اللهِ الثَّقَفِيِّ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، قُلْ لِي فِي الْإِسْلَامِ قَوْلًا لَا أَسْأَلُ عَنْهُ أَحَدًا غَيْرَكَ، قَالَ: «قُلْ: آمَنْتُ بِاللهِ، فَاسْتَقِمْ». فالاستقامة شأنها عظيم، فلاح وهداية.

❧ ومن أسباب البركة: الاستغفار، قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عن نوح عليه السلام: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴿١٢﴾ ﴾[نوح]. والمحروم من حرم الاستغفار؛ لأن الاستغفار سهل على من يسره الله عليه وذلَّل لسانه بالاستغفار، فهذه بركة عظيمة أن تستغلي لسانك بالاستغفار، النَّبِيّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ -مع أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخَّر- كان يكثر من الاستغفار، روى الإمام مسلم (٢٧٠٢) عَنِ الْأَغَرِّ الْمُزَنِيِّ، وَكَانَتْ لَهُ صُحْبَةٌ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، قَالَ: «إِنَّهُ لَيُغَانُ عَلَى قَلْبِي، وَإِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللهَ، فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ» سبحان الله هذا النَّبِيّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ! ونحن أشد حاجة إلى الاستغفار، فعلينا أن نكثر من الاستغفار، وأن يرزقنا الله البركة.

ومن ذلك: القرآن الكريم، إذا اجتهدتِ في حفظ القرآن والمراجعة جعل الله لك البركة من حيث الأجور والفضائل، بركة في زيادة الايمان، وبركة في العبادة تعبدين الله على بصيرة، ﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾ ﴾ [الأنعام: ١٥٥].

فاحرصي على قراءة القرآن الكريم؛ لتنالي بركاته، ولتكوني مباركة على نفسك وعلى غيرك، ليست البركة محصورة في المال، بل هي أعم، فالقرآن مبارك في ثماره ومنافعه، في أجوره، في علومه وكنوزه، مبارك على من قرأه فهو يجلب له السعادة وانشراح الصدر، ويذهب عنه الغموم والهموم، مبارك في هدايته، وزيادة الإيمان، مبارك من كل الوجوه.

فينبغي أن نكثر من تلاوة القرآن ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾ ﴾ [فاطر].

العلم النافع هذا من أسباب البركة، النّبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يقول: «وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا، سَهَّلَ اللهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ» رواه الإمام مسلم (٢٦٩٩) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

إذا أردت أن تنالي البركة تعلمي وتفهمي وتفقَّهِي في أمور دينك، الناس في هذا العصر منكبُّون على العلوم الدنيوية كالطب والهندسة والفيزياء والكيمياء، وأنت يا من تردين الآخرة، اقبلي على العلم النافع روى البخاري (٧١)، ومسلم (١٠٣٧) عن مُعَاوِيَةَ

بن أبي سفيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: يَقُولُ سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ».

ولو لم يكن من بركات العلم إلا أنه يشغل وقتك، فما يبقى عندك وقت للدخول والخروج وكثرة اللقاءات والزيارات، وهذا من بركة العلم.

فالعلم بركة على صاحبه، بركة على المجتمعات، بركة على الأُسر، الأُسر التي تهتم بالعلم النافع، البركات والخيرات ينزلها الله عليهم، ألفاظ طيبة، استغلال الأوقات، احترام ورحمة وتعاطف، لِين وآداب.

فاحرصي على العلم النافع، تعلمي وانعشي العلم في لقاءاتك وفي أسرتك وبين أولادك، انعشي العلم النافع؛ فإنه يدل على أن الله جعل لك البركة، لا تكوني فقط تتعلمي العلم وإلى نفسك وهذا خير، ولكن يبقى أن تنفعي غيرك؛ ليعمَّ النفع، روى أبو داود (٣٦٦٠) عَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «نَضَّرَ اللَّهُ امْرَأً سَمِعَ مِنَّا حَدِيثًا، فَحَفِظَهُ حَتَّى يُبَلِّغَهُ، فَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ، وَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ لَيْسَ بِفَقِيهٍ».

الزهري يقول: كَانَ مَنْ مَضَى مِنْ عُلَمَائِنَا يَقُولُونَ: الِاعْتِصَامُ بِالسُّنَّةِ نَجَاةٌ، وَالْعِلْمُ يُقْبَضُ قَبْضًا سَرِيعًا، فَنَعْشُ الْعِلْمِ ثَبَاتُ الدِّينِ وَالدُّنْيَا، وَفِي ذَهَابِ الْعِلْمِ ذَهَابُ ذَلِكَ كُلِّهِ(٥).

(٥) رواه الدارمي في «سننه» (٩٧).

«فَنَعْشُ الْعِلْمِ» نشره في أوساط المجتمعات، بثُّهُ في اللقاءات. «ثَبَاتُ الدِّينِ وَالدُّنْيَا» أي: أنه تبقى الدنيا والدين ما بقي العلم، وإذا ذهب العلم ذهب الدين وذهبت الدنيا؛ لأن هذا من أشراط الساعة.

ولا حياة سعيدة إلا بالعلم النافع، كما أن العلم النافع، علم الكتاب والسنة بركة عظيمة.

واعلمي أن من علامات بركة العلم النافع: أن يزيد العلم وينمو، إذا شعر الإنسان أنه كل يوم وهو في زيادة علم هذا دليل على أن الله قد جعل له البركة، وكما كان يقول والدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أهل السنة كل يوم وهم يزدادون علمًا، وأهل الأهواء كل يوم يزدادون جهلًا.

فإذا وجدتِ نماء علمك هذا دليل على بركة العلم.

اليوم شيءٌ وغدًا مثله من نخبِ العلم التي تُلْتقط

يحصِّل المرء بها حكمة وإنما السيل اجتماع النُّقط

هذا من علامات العلم النافع.

الشيء الثاني نشر العلم، إذا سمعت موعظة، حديث، أو مسألة واحدة في التفسير انقلي إلى غيرك، النساء يتناقلن القيل والقال، والكلام التافه، وأنت احرصي على نقل الخير إلى أخواتك في مجالسك.

والأمر الثالث: أن يعمل بعلمه، فلا بد من العمل بالعلم، يسمع ولا يعمل كما قال الله عن أهل الكتاب: ﴿ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ ﴾ [آل عمران: ١٨٧]. وقال تعالى: ﴿مَثَلُ

﴿ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ۚ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٥﴾ [الجمعة: ٥]. هذا لا يكون علمًا نافعًا، ولا يكون بركة، إذًا العلم النافع هو الذي يكون بركة لك في سعيك، وفي حياتك، وبركة لك في حضرك وسفرك، نور لك ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ۝١٧٤﴾ [النساء](٦).

- الآباء الطيبون الصالحون بركة على أبنائهم، إذا كانوا مستقيمين أثَّروا في أبنائهم وقادوهم إلى الخير، روى البخاري (١٣٥٩)، ومسلم (٢٦٥٨) عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ، وَيُنَصِّرَانِهِ، أَوْ يُمَجِّسَانِهِ».

ومن بركات الآباء الصالحين على أبنائهم أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يوم القيامة يُلحق بهم النازل في الدرجة والمنزلة إلى منازلهم، قال تَعَالَى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ ۚ كُلُّ ٱمْرِئٍۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ۝٢١﴾ [الطور].

قال الحافظ ابن كثير في «تفسيره» (رقم الآية٢١ من سورة الطور): يُخْبِرُ تَعَالَى عَنْ فَضْلِهِ وَكَرَمِهِ، وَامْتِنَانِهِ وَلُطْفِهِ بِخَلْقِهِ وَإِحْسَانِهِ، أَنَّ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا اتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّاتُهُمْ فِي الْإِيمَانِ يُلحقهم بِآبَائِهِمْ فِي الْمَنْزِلَةِ وَإِنْ لَمْ يَبْلُغُوا عَمَلَهُمْ؛ لِتَقَرَّ أَعْيُنُ الْآبَاءِ بِالْأَبْنَاءِ عِنْدَهُمْ فِي مَنَازِلِهِمْ، فَيَجْمَعُ بَيْنَهُمْ عَلَى أَحْسَنِ الْوُجُوهِ، بِأَنْ يَرْفَعَ النَّاقِصَ الْعَمَلِ، بِكَامِلِ الْعَمَلِ، وَلَا يَنْقُصَ

---

(٦) قال الشيخ ابن عثيمين في «فتح ذي الجلال والإكرام»(٢/ ١٣٤): البركة في العلم أن الله يوسِّعُ العلم للإنسان، ويوسع انتشار العلم على يديه، ويجعله عاملًا بعلمه، كل هذا من بركة العلم.

ذَلِكَ مِنْ عَمَلِهِ وَمَنْزِلَتِهِ؛ لِلتَّسَاوِي بَيْنَهُ وَبَيْنَ ذَاكَ؛ وَلِهَذَا قَالَ: ﴿أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ﴾.

وتكلم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسير سورة الأنعام (٣/٣٨٣) على قوله تَعَالَى: ﴿وَمَآ أَلَتْنَٰهُم﴾، وقال: أَيْ: أَنْقَصْنَا أُولَئِكَ السَّادَةَ الرُّفَعَاءَ مِنْ أَعْمَالِهِمْ شَيْئًا حَتَّى سَاوَيْنَاهُمْ وَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ هُمْ أَنْقَصُ مِنْهُمْ مَنْزِلَةً، بَلْ رفعهم تعالى إلى منزلة الْآبَاءِ بِبَرَكَةِ أَعْمَالِهِمْ، بِفَضْلِهِ وَمِنَّتِهِ.

- الأبناء الصالحون بركة على آبائهم، يبرونهم، يجتهدون في رضاهم، قرة عين لهم.

ولبركتهم لا ينسون آباءهم بعد وفاتهم من البِرِّ بهم.

روى الإمام مسلم (١٦٣١) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ: إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ».

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ لَيَرْفَعُ الدَّرَجَةَ لِلْعَبْدِ الصَّالِحِ فِي الْجَنَّةِ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، أَنَّى لِي هَذِهِ؟ فَيَقُولُ: بِاسْتِغْفَارِ وَلَدِكَ لَكَ»(٧).

- البيوت العامرة بالخير بركة على أهلها، عامرة بالعبادة والذكر، خالية من الغناء والموسيقى، بعيدة عن العنف والتخاصم، مطردة للشيطان؛ لتلاوة القرآن وذكر الله فيها، هذه بركة على أهلها.

---

(٧) رواه أحمد(١٦/٣٥٦). هذا حديث حسن. الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين(١٣٨٩).

فاحرصوا على بركة البيوت؛ لتمتلِئَ بالمسرات والخيرات بإذن الله عَزَّوَجَلَّ.

❧ ومن أسباب البركة: تسمية الله عند الأكل والاجتماع على الطعام وعدم التفرق، فقد جاء أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِلنَّبِيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: إِنَّا نَأْكُلُ وَمَا نَشْبَعُ، قَالَ: «فَلَعَلَّكُمْ تَأْكُلُونَ مُفْتَرِقِينَ، اجْتَمِعُوا عَلَى طَعَامِكُمْ، وَاذْكُرُوا اسْمَ اللهِ عَلَيْهِ يُبَارَكْ لَكُمْ فِيهِ» (٨).

هذا من أسباب البركة التسمية، والاجتماع على الطعام وعدم التفرق، إذا جُعل لكل واحد إناء تنزع البركة، أو تفرقت الأسرة هذا متأخر وهذا متقدم، ينبغي الاجتماع على الطعام ما أمكن، الاجتماع بركة وخير، وفيه امتثال الدليل، والعمل بالسنة (٩).

❧ ومنها: قول «إن شاء الله» إذا قلنا: إن شاء الله نرجو بركتها، قال الله تَعَالَى: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّى لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا ﴿٢٤﴾﴾ [الكهف].

فينبغي ألا نغفل عن قول «إن شاء الله» في كل أمور المستقبل، حتى ولو بعد دقائق أو ساعات، هذه كلمة مباركة.

أخرج البخاري (٣٤٢٤)، ومسلم (١٦٥٤) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، قَالَ: «قَالَ: سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ لَأَطُوفَنَّ اللَّيْلَةَ عَلَى سَبْعِينَ امْرَأَةً، تَحْمِلُ كُلُّ امْرَأَةٍ فَارِسًا يُجَاهِدُ

---

(٨) رواه أحمد (١٣/ ٤٨٥) عَنْ وَحْشِيِّ بْنِ حَرْبٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ.

(٩) قال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُٱللَّهُ في «شرح رياض الصالحين» في فوائد هذا الحديث: هذا يدل على أنه ينبغي للجماعة أن يكون طعامهم في إناء واحد، ولو كانوا عشرة أو خمسة يكون طعامهم في صحن واحد بحسبهم؛ فإن ذلك من أسباب نزول البركة، والتفرق من أسباب نزع البركة.

فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَقَالَ لَهُ صَاحِبُهُ: إِنْ شَاءَ اللَّهُ، فَلَمْ يَقُلْ، وَلَمْ تَحْمِلْ شَيْئًا إِلَّا وَاحِدًا، سَاقِطًا أَحَدُ شِقَّيْهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَوْ قَالَهَا لَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ».

لم يقل: «إن شاء الله»، ولم يستثنِ فطاف على أزواجه والجواري فلم تلد إلا امرأة ولدت شق غلام، فلو قال: إن شاء الله لظفر بالخير.

علَّق والدي في درسٍ لنا على هذا الحديث وقال: كلمةُ «إن شاء الله» كلمة مباركة لا تُذكَرُ في شيء إلا تحقَّقَ غالبًا.

فينبغي أن يكون هذا على ألسنتنا قول: «إن شاء الله»، ويأجوج ومأجوج قصتهم معروفة أنهم يحفرون السد ويتعبون، ويقولون: نكمل في الغد ولا يستثنون، فيأتي اليوم الذي يليه ويعود كما هو، فإذا جاء اليوم الذي يريده الله عَزَّوَجَلَّ يقولون: سنكمل غدًا إن شاء الله فيجدونه مفتوحًا، فيحفرون ما بقي من السد ويخرجون، نعوذ بالله منهم(١٠).

❧ من أسباب البركة: قول: «بسم الله».

---

(١٠)روى الترمذي (٣١٥٣)، وأحمد (٣٦٩/١٦) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ لَيَحْفِرُونَ السَّدَّ كُلَّ يَوْمٍ، حَتَّى إِذَا كَادُوا يَرَوْنَ شُعَاعَ الشَّمْسِ، قَالَ الَّذِي عَلَيْهِمْ: ارْجِعُوا فَسَتَحْفِرُونَهُ غَدًا، فَيَعُودُونَ إِلَيْهِ كَأَشَدِّ مَا كَانَ، حَتَّى إِذَا بَلَغَتْ مُدَّتُهُمْ، وَأَرَادَ اللهُ أَنْ يَبْعَثَهُمْ عَلَى النَّاسِ، حَفَرُوا، حَتَّى إِذَا كَادُوا يَرَوْنَ شُعَاعَ الشَّمْسِ، قَالَ الَّذِي عَلَيْهِمْ: ارْجِعُوا فَسَتَحْفِرُونَهُ غَدًا، إِنْ شَاءَ اللهُ، وَيَسْتَثْنِي، فَيَعُودُونَ إِلَيْهِ وَهُوَ كَهَيْئَتِهِ حِينَ تَرَكُوهُ، فَيَحْفِرُونَهُ وَيَخْرُجُونَ عَلَى النَّاسِ، فَيُنَشِّفُونَ الْمِيَاهَ، وَيَتَحَصَّنَ النَّاسُ مِنْهُمْ فِي حُصُونِهِمْ، فَيَرْمُونَ بِسِهَامِهِمْ إِلَى السَّمَاءِ، فَتَرْجِعُ وَعَلَيْهَا كَهَيْئَةِ الدَّمِ، فَيَقُولُونَ: قَهَرْنَا أَهْلَ الْأَرْضِ، وَعَلَوْنَا أَهْلَ السَّمَاءِ، فَيَبْعَثُ اللهُ عَلَيْهِمْ نَغَفًا فِي أَقْفَائِهِمْ فَيَقْتُلُهُمْ بِهَا» فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، إِنَّ دَوَابَّ الْأَرْضِ لَتَسْمَنُ وَتَشْكُرُ شُكْرًا مِنْ لُحُومِهِمْ وَدِمَائِهِمْ». وذكر الحديث العلامة الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في «سلسلة الأحاديث الصحيحة» (١٧٣٥).

أخرج أبو داود (٤٩٨٢) عَنْ أَبِي الْمَلِيحِ، عَنْ رَجُلٍ، قَالَ كُنْتُ رَدِيفَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَعَثَرَتْ دَابَّةٌ، فَقُلْتُ: تَعِسَ الشَّيْطَانُ، فَقَالَ: «لَا تَقُلْ تَعِسَ الشَّيْطَانُ، فَإِنَّكَ إِذَا قُلْتَ ذَلِكَ تَعَاظَمَ حَتَّى يَكُونَ مِثْلَ الْبَيْتِ، وَيَقُولُ: بِقُوَّتِي، وَلَكِنْ قُلْ: بِسْمِ اللَّهِ، فَإِنَّكَ إِذَا قُلْتَ ذَلِكَ تَصَاغَرَ حَتَّى يَكُونَ مِثْلَ الذُّبَابِ»(١١).

قال الحافظ ابن كثير في «تفسيره» في الكلام على البسملة: فَهَذَا مِنْ تَأْثِيرِ بَرَكَةِ بِسْمِ اللَّهِ؛ وَلِهَذَا تُسْتَحَبُّ فِي أَوَّلِ كُلِّ عَمَلٍ وَقَوْلٍ.

هذا من فضائل «بسم الله»، فهذه كلمة عظيمة، حفظ من الشرور، حفظ من المصائب، إغاظة للشيطان وحصن منه، وحِفْظٌ من تسلطه.

أما زيادة «عليك» في «بسم الله عليك» هذه الزيادة ما جاءت في الأدلة «بسم الله» ما فيه «عليك، ولا عليه» ينبغي أن نتقيد بالألفاظ الواردة في الأدلة؛ لأن بعض النساء إذا سقط الولد، تقول: بسم الله عليك.

الإمام البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ بوب (بَابُ التَّسْمِيَةِ عَلَى كُلِّ حَالٍ وَعِنْدَ الوِقَاعِ) وأخرج ثم أخرج حديث (١٤١)، وهو كذلك عند مسلم (١٤٣٤)، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، عن النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا أَتَى أَهْلَهُ، قَالَ: بِاسْمِ اللَّهِ، اللَّهُمَّ جَنِّبْنَا الشَّيْطَانَ وَجَنِّبِ الشَّيْطَانَ مَا رَزَقْتَنَا، فَقُضِيَ بَيْنَهُمَا وَلَدٌ لَمْ يَضُرُّهُ».

---

(١١) الحديث في «الصحيح المسند» (١٥٠٣) لوالدي رَحِمَهُ اللَّهُ.

فهذا فيه الحرص على قول: «بسم الله»، وعند دخول المنزل والخروج، وعند الدخول إلى الخلاء.

والنَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يقول: «إِذَا اسْتَجْنَحَ اللَّيْلُ، أَوْ قَالَ: جُنْحُ اللَّيْلِ، فَكُفُّوا صِبْيَانَكُمْ، فَإِنَّ الشَّيَاطِينَ تَنْتَشِرُ حِينَئِذٍ، فَإِذَا ذَهَبَ سَاعَةٌ مِنَ العِشَاءِ فَخَلُّوهُمْ، وَأَغْلِقْ بَابَكَ وَاذْكُرِ اسْمَ اللَّهِ، وَأَطْفِئْ مِصْبَاحَكَ وَاذْكُرِ اسْمَ اللَّهِ، وَأَوْكِ سِقَاءَكَ وَاذْكُرِ اسْمَ اللَّهِ، وَخَمِّرْ إِنَاءَكَ وَاذْكُرِ اسْمَ اللَّهِ، وَلَوْ تَعْرُضُ عَلَيْهِ شَيْئًا» رواه البخاري (٣٢٨٠) عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

«وَأَغْلِقْ بَابَكَ» عند غلق الباب يقال: بسم الله.

«وَأَطْفِئْ مِصْبَاحَكَ»إذا أطفأت النور أو المكيف فقولي: بسم الله، ليس خاصًا بالمصابيح القديمة.

«وَأَوْكِ سِقَاءَكَ» الوكاء: الشد والربط، لو أغلقت الدولاب أو الحقيبة قولي: بسم الله؛ لأنه يعتبر وكاء.

«وَخَمِّرْ إِنَاءَكَ» لو وضعت غطاء على الإناء، فقولي: بسم الله.

آداب نبوية، يغفل عنها كثيرٌ من الناس.

إذا أخذتِ شيئًا من الأطعمة أو المال أو الرز قولي: بسم الله، هذه بركة عظيمة، وهذا من ذكر الله سُبحَانَهُ، هذا يغيظ الشيطان الرجيم، هذا من أسباب زيادة الإيمان، فاحرصي على قول هذه الكلمة العظيمة.

من أسباب البركة: القناعة بما كتب الله، فعن حَكِيم بْن حِزَامٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَعْطَانِي، ثُمَّ سَأَلْتُهُ، فَأَعْطَانِي، ثُمَّ سَأَلْتُهُ، فَأَعْطَانِي ثُمَّ قَالَ: «يَا حَكِيمُ، إِنَّ هَذَا المَالَ خَضِرَةٌ حُلْوَةٌ، فَمَنْ أَخَذَهُ بِسَخَاوَةِ نَفْسٍ بُورِكَ لَهُ فِيهِ، وَمَنْ أَخَذَهُ بِإِشْرَافِ نَفْسٍ لَمْ يُبَارَكْ لَهُ فِيهِ، كَالَّذِي يَأْكُلُ وَلاَ يَشْبَعُ، اليَدُ العُلْيَا خَيْرٌ مِنَ اليَدِ السُّفْلَى»، قَالَ حَكِيمٌ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالحَقِّ لاَ أَرْزَأُ أَحَدًا بَعْدَكَ شَيْئًا حَتَّى أُفَارِقَ الدُّنْيَا، فَكَانَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يَدْعُو حَكِيمًا إِلَى العَطَاءِ، فَيَأْبَى أَنْ يَقْبَلَهُ مِنْهُ، ثُمَّ إِنَّ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ دَعَاهُ لِيُعْطِيَهُ فَأَبَى أَنْ يَقْبَلَ مِنْهُ شَيْئًا، فَقَالَ عُمَرُ: إِنِّي أُشْهِدُكُمْ يَا مَعْشَرَ المُسْلِمِينَ عَلَى حَكِيمٍ، أَنِّي أَعْرِضُ عَلَيْهِ حَقَّهُ مِنْ هَذَا الفَيْءِ فَيَأْبَى أَنْ يَأْخُذَهُ، فَلَمْ يَرْزَأْ حَكِيمٌ أَحَدًا مِنَ النَّاسِ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى تُوُفِّيَ. متفق عليه.

من أسباب البركة: عدم كيل الطعام؛ لأن الذي يكيل يحدد المقدار، فيصير عنده معلومًا، تقول عَائِشَة: «تُوُفِّيَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَا فِي بَيْتِي مِنْ شَيْءٍ يَأْكُلُهُ ذُو كَبِدٍ، إِلَّا شَطْرُ شَعِيرٍ فِي رَفٍّ لِي، فَأَكَلْتُ مِنْهُ حَتَّى طَالَ عَلَيَّ، فَكِلْتُهُ فَفَنِيَ» رواه البخاري (٣٠٩٧)، ومسلم (٢٩٧٣).

قال القاضي عياض: فيه أن البركة أكثر ما هي في المجهولات والمبهمات.

قد يكون عند بعضنا إذا أخرج الشيء ينظر مقدار الباقي بالكيلو، هذا من أسباب فقد البركة؛ لأن الانسان يتوكل على الله سُبحَانَهُ، وإذا علم المقدار قد يحمله على الشح.

وما جاء عند البخاري (٢١٢٨) عَنِ المِقْدَامِ بْنِ مَعْدِي كَرِبَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «كِيلُوا طَعَامَكُمْ يُبَارَكْ لَكُمْ».

فهذا قَالُوا كما في «شرح صحيح مسلم» (٢٩٧٣) للنووي: الْمُرَادُ أَنْ يَكِيلَهُ مِنْهُ لِأَجْلِ إِخْرَاجِ النَّفَقَةِ مِنْهُ، بِشَرْطِ أَنْ يَبْقَى الْبَاقِي مَجْهُولًا، وَيَكِيلُ مَا يُخْرِجُهُ؛ لِئَلَّا يُخْرِجَ أَكْثَرَ مِنَ الْحَاجَةِ أَوْ أَقَلَّ.

أخيرًا هذا تذكيرٌ يسير في بيان أهمية نزول البركة، وبعض أسبابها؛ لنسعى جادِّيْنَ في تحصيلها، ونحذر مِنْ حِرْمانِهَا.

فاحرصوا على ذلك، وكونوا مبارَكين على أنفسِكم وعلى أولادكم وأزواجكم وأُسَركم، ومن تُجالسون.

أسأل الله أن ينفعنا بما قلنا وسمعنا، وأن يرزقنا البركة في أنفسنا وأولادنا، وجميع ما رزقنا.

والحمد لله رب العالمين.

تم نشر هذه الكلمة ولله الحمد والمنة.

يوم الأحد الموافق ١٠ / من شهر شوال / لعام ١٤٤٤ للهجرة النبوية

على صاحبها الصلاة والسلام.